تطويع العلاقات بين بلدين او فك الاشتباك العصبي بيننا!

أنيس منصور

التنوير

هذا المقال لن يساعد كثيراً على تحسين العلاقات بين مصر وإسرائيل ، لأنه مكتوب بحسن نية . ولأنه رد على ماقاله السيد مناحم بيجين رئيس الوزراء ، وعلى السيد بن أليسار مدير مكتبه سابقا وسفيره فى القاهرة . ولذلك فسوف أضع فى نهاية المقال « النقط » التى سوف يساء فهمها .. ومعنى ذلك أننى سوف أتكلم مرة بلسانى ، ومرة أخرى بلسان الآخرين – حتى هذه المحاولة ستكون مبررا للغضب من المقال وصاحب المقال والفكر المصرى والصحافة المصرية . كما سنرى ..

فى الأسبوع الماضى كان السفير الإسرائيلى د . بن أليسار قد تسلم استدعاء من رئيس الوزراء . وأصبح معروفا لدى كل موظفى السفارة وبعض الصحفيين أنه سوف يسافر إلى تل أبيب لأمر هام . وقبل أن يبرح السفارة جاءه السكرتير الصحفى يقرأ عليه مقالا لى نشرته جريدة الأهرام . وبعد أن قرأ له سطرين اثنين فقط قال له السفير : كفى ! كفى ! أنا أعرف ماالذى يريد أن يقوله ! ..

وخرج من السفارة واتجه إلى فندق شيراتون . واستقل سيارة مع زوجته وبعض أقاربه واتجه إلى عبور قناة السويس فالعريش فغزة .. واتجه مباشرة إلى التليفزيون الإسرائيلى . وأعلن : لقد جئت بسرعة . فالأمر هام وخطير . وسئل : لماذا ؟ قال : إن تطبيع العلاقات ليس كما ينبغى . فالمصريون قد أوقفوا كل شىء . وليسوا جادين فى قضية السلام . كما أن الصحف المصرية تهاجم إسرائيل . ثم إننى قرأت مقالا فى الأهرام تحت عنوان « مواقف » لأنيس منصور .. والمقال بمنتهى الصراحة يطلب إلى الشعب المصرى ألا يسافر إلى إسرائيل .. وأنه ليس من الضرورى أن يفعل أحد ذلك .. ثم إننى فى عزلة تامة . ولم أدخل سوى بيتين اثنين فى مصر مع أن عدد سكان مصر ٤٢ مليونا .. ولا أجد شقة أسكن فيها .. بينما السفير المصرى قد وجد بيتا فخما ومقرا ممتازا لسفارته .. ثم إن أحدا من المصريين لم يسافر إلى إسرائيل .. هذه هى المسألة الخطيرة التى جئت مسرعا لأعلنها على الشعب ! ..

وفى نفس اليوم نشرت إحدى الصحف الإسرائيلية لمندوبها فى القاهرة : أن الرئيس السادات قد قرر أن ينسحب من مفاوضات السلام . وأن مفاوضات الحكم الذاتى ليست إلا ستارا . وأن مصر ليست جادة وكذلك الرئيس السادات ! ..

ثم أعلن السيد مناحم بيجين تعليقا على حديث الرئيس السادات لمجلة « ريدرز دايجست » ان الرئيس السادات يريد أن يفسد مابين رئيس الوزراء وشعبه . وذلك تعليقا على ماقاله الرئيس السادات – ويقوله الشعب الإسرائيلى ويهود الشتات أيضا – من أن السيد مناحم بيجين قد توقف تماما . والشعب الإسرائيلى يريد السلام ، وحكومة إسرائيل لاتريد إكمال مسيرة السلام . وذلك لأن السيد بيجين متمسك بما جاء فى التوراة – التى لاتعتبر كتابا تاريخيا أو جغرافيا – من أن الضفة الغربية هى جزء من « أرض إسرائيل » و « أرض المعاد » ..

وحديث الرئيس السادات إلى هذه المجلة الأمريكية قد أجراه منذ ثلاثة شهور ، ولم ينشر إلا أخيراً ..

أما الذى جاء فى مقالى فهو أننى قلت إن الانجليز احتلوا مصر ثمانين عاما وبعد انسحابهم لم يبادر الشعب المصرى بزيارة بريطانيا ابتهاجا بالانسحاب وتطبيع العلاقات بين البلدين . وليس من الضرورى ذلك . فليس دليلا على العلاقات العادية أن يجىء إلى مصر مائة إسرائيلى ويذهب إلى اسرائيل عشرة مصريين أو عشرة آلاف .. لأن « التطبيع » له معنى آخر – كما سنرى فيما بعد ..

ثم إن ١٣ مليون يهودى يعيشون خارج إسرائيل ، فإذا أرادوا أن يقضوا إجازاتهم الصيفية فهم لايذهبون إلى إسرائيل . فهل معنى ذلك أنهم قد أسلموا مثلا ؟ ..

« احرقوها » وليس احرقوها .. وما جاء فى حديث الرئيس السادات إلى مجلة أكتوبر

ولكن السفير الإسرائيلى لديه تعليمات بأن يفتعل قضية عاجلة ، لأن الحملة الانتخابية قد بدأت فعلا ضد حزب العمل وضد أمريكا ومصر والعالم العربى والأوربى . وهو فى حاجة إلى قضية . لأنه سوف يرشح نفسه فى الانتخابات القادمة . والقضية التى يحتاج إليها لتعرقل المفاوضات المتعثرة ، ثم إنها آجلة لتكون ضمن برنامج الانتخابات التى يجب أن تبدأ قبل موعدها – كما ذكرت فى الأسبوع الماضى ..

وكان السفير الإسرائيلى قد تحدث عن سخرية الصحف المصرية من بحثه المستمر عن شقة . وقال لى : إنه لايهتم كثيرا بما تقوله الصحف . فهذا طبيعى ..

ولكن الذين يعرفونه يقولون : إنه لم يتعود على هذا التجريح ، وإنه فى حالة نفسية سيئة ! ..

وقد ازدادت حالته النفسية سوءا بسبب موقف الصحف الاسرائيلية منه . فقد أجمعت كل صحف إسرائيل على أنه المسئول شخصيا عن « عزلته » فى مصر . فهو لم يهتم بالشرق الأوسط إلا أخيرا . ثم إنه لايعرف اللغة العربية . ثم إن له مواقف متشددة لاينساها أحد .

وبعض أصدقاء السفير يتندرون بأن السيدة حرمه قد أتت معها بعشرات الفساتين السواريه التى أعدتها لحفلات الرقص الكبرى فى ليالى القاهرة – أى لم يتسع وقت السفير وزوجته ليعرفا تماما ماالذى يجرى فى ليالى القاهرة ! ..

ولكن عندما شكا السيد بيجين من أن بعض الصحفيين المصريين قد هاجموه شخصيا . وأنه يرى فى ذلك دليلا على سوء النية وعدم جدية السلام . أشار الرئيس السادات على وزير الإعلام المصرى السيد منصور حسن ألا يكون هناك هجوم شخصى على رئيس وزراء إسرائيل . أما سياسة إسرائيل وحكومتها وبرلمانها . فطعام يومى لكل الأقلام والميكروفونات ..

وعندما جاء إلى القاهرة مرشح الرياسة الأمريكية أندرسون كان يحمل رسالة من رئيس وزراء إسرائيل . الرسالة من نقطتين : النقطة الأولى ماكتبته أنا فى جريدة الأهرام . والنقطة الثانية أن السيد بيجين سوف يتحدث تليفونياً إلى الرئيس السادات فى اليوم التالى .

فهناك تنسيق سريع قد تم بين اندفاع السفير الإسرائيلى إلى التليفزيون ، ومانشرته الصحف الإسرائيلية قبل ذلك بيوم ، وفى نفس اليوم أيضا . ومن الغريب حقا أن يعلن السفير الإسرائيلى أنه جاء مسرعا إلى تل أبيب – مع أنه ذهب بالسيارة التى قطعت المسافة بين البلدين فى ١٥ ساعة ! ..

وفى مفاوضات الحكم الذاتى وقبلها فى مفاوضات كامب دافيد أشياء كثيرة جدا تدل على أنه : فى البدء كان سوء الظن .. وفى التطبيق كان سوء الفهم ..

وليس الحوار إلا نوعا من تعديل « المسار » لسفينة المفاوضات بيننا ، حتى تتخذ اللجان والحكومات مدارها الصحيح حول السلام ..

قبل ذلك فوجىء الرئيس السادات وهو فى زيارة للخرطوم بأن السيد مناحم بيجين قد وصفه بأنه الامبراطور نيرون الذى أحرق روما . ثم راح يغنى سعادة بذلك ! ..

ولم يعرف الرئيس السادات سببا واضحا لهذه المفاجأة العنيفة غير السارة . وأخيرا عرف السبب ..

فقد أجريت حديثا مع الرئيس السادات ونشر فى كل الصحف فى نفس اليوم مع مجلة « أكتوبر » . ونشرت صحيفة الأهرام الخطوط العريضة للحديث فى صفحتها الأولى . ووقع خطأ مطبعى . فالرئيس عندما تحدث عن المطارات الإسرائيلية على أرض سيناء ، قال : لاتهمنى هذه المطارات وماعليها .. تهمنى أرض سيناء .. هذه المطارات « احرقوها » ! ..

ونشرت « الأهرام » هذه العبارة على النحو التالى : هذه المطارات « احرقوها » !

وبسرعة – وبسبب سوء الظن – نقلها صحف إسرائيل . ووقعت علينا عينا رئيس وزراء إسرائيل البولندى الأصل الذى دخل السجون فى بولندا وفى روسيا . وروى ذلك فى كتابه « الليالى البيضاء » – وهى بيضاء لأن السجون تضاء ليلا ونهارا . ثم إنه – وكل يهودى – لاينسى الإحراق الشامل « هولوكوست » لملايين اليهود فى أفران الغاز فى أوشفتس فى بولندا وفى داخاو فى ألمانيا ! ..

أما الذى قصده الرئيس السادات فهو أن إسرائيل فى عدوان سنة ١٩٥٦ قد « حرقت » الطرق والمطارات والقواعد والبيوت . فهو يشير إلى هذا المعنى ، وفى نفس الوقت يؤكد أنه ليس فى حاجة إلى هذه المطارات ! ..

ونشرنا تصحيحا فى مجلة « أكتوبر » لهذا الخطأ المطبعى الذى كان مثل صيخ من الحديد أصاب عصبا عاريا فى ذراع بيجين ! ..

ومن مظاهر سوء الظن ، أن يجىء إلى مصر عدد من يهود العالم أو من علماء إسرائيل أو مندوبى الصحف . وكلهم هدف واحد : أن يعرفوا ماالذى طرأ على الرأى العام فى مصر ..

إنهم يريدون أن يعرفوا – تماما كما يفعلون ذلك فى بلادهم ، فهم يضعون ترمومترات فى أفواه المواطنين ويضعون أصابعهم على عروقهم ، ليعرفوا درجات الحرارة والنبض ..

والشىء الذى لا يفهمونه – وليس لديهم أدنى استعداد لذلك – هو أننا مختلفون .. الحرارة مختلفة . الضغط مختلف . إيقاع الحياة اليومية مختلف . ليسوا أحسن منا ، ولانحن . ولكننا مختلفون . عندنا شعور بأننا من ألوف السنين « هنا » اليوم وغدا . وليس لديهم هذا الشعور ، فلم يكن لهم « هنا » فى أى وقت .. فهم قد « اقتلعوا » من أماكن مختلفة . ثم جاءوا يحملون جذورهم كما يقول ناحوم جولدمان ، ليعيدوا غرسها من جديد .. فشعورهم بعدم الأمان

تطويع العلاقات بين بلدين أو فك الاشتباك العصبي بيننا!

أورثهم القلق والخوف وسوء الظن والشك والشكوى .. ولذلك جاءوا يعرفون أين نحن وأين هم. وكل شيء يؤكد أننا مختلفون وسوف نبقى كذلك ..

مثلا : عندما التقطت صحفية يهودية كانت تعمل راقصة في أحد كباريهات شارع الهرم مع سائق تاكسي أن يأتي إليها في اليوم التالي لم يحضر. مع أنها دفعت له أجره مقدما.

نشرت الصحف الإسرائيلية أن شيئا ماقد تغير في مصر : أين ابتسامة سائق التاكسي وترحيبه بكل إسرائيلي ورفضه أن يتقاضى أجرا .. وأين سائق التاكسي الذي دعا الصحفيين الإسرائيليين إلى تناول العشاء في بيته .. الخ.

بينما لم تعلق الصحف الاسرائيلية على أن أحد اليهود المصريين بعد للاثين عاما من الهجرة إلى أمريكا ذهب إلى البنك الأهلي وأخرج مفتاحا صغيرا من جيبه وفتح خزانته. فوجد كل أمواله. ووجد العملات النادرة التي كان قد أخفاها. ووجد أسورة من الماس كان قد أهداها الخديو إسماعيل إلى الامبراطورة أوجيني .. الخ ..

لم تتحدث الصحف الاسرائيلية عن الأمانة المصرية ..

ولم تعلق صحيفة واحدة على أن واحدا من عائلة سيمون أرنس قد ترك أموالا عند تاجر في الاسكندرية. وعاد إليه بعد ٣٦ عاما ليسترد مبلغا قدره ٣١ ألفا من الجنيهات. ولم تكن بين الرجلين ورقة مطبوعة !..

وعندما اتصلت إحدى الصحفيات بالسيدة ميمي طلبات. أخت الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس. أقفلت السكة في وجهها قائلة : لا أريد أن أتحدث إليك !..

نشرت الصحف الإسرائيلية والإذاعة والتليفزيون أنهم في مصر قد عدلوا عن الحديث مع الإسرائيليين. مع أن هذا الذي فعلته السيدة ميمي طلبات قرار شخصي احتجاجا على مافعلته أو قالته هذه الصحفية .. ثم إن هذه الصحفية الإسرائيلية قد أقامت في مصر أسبوعين في حمامات سباحة فنادق شيراتون وهيلتون وركبت الزوارق ساعات في القناطر الخيرية .. وقابلت عددا من كبار المسئولين في مصر من القاهرة والاسكندرية !..

والمعنى الذي أقصده هو : أن الذي يبدأ بسوء الظن ينتهي بسوء الفهم .. وإلى غير نهاية !.

وكان الرئيس السادات قد قابل في الأسبوع الماضي أستاذا جامعيا محترما هو د. شيمون شامير. وكان الحديث بينهما رائعا. وقد تأثر الأستاذ الإسرائيلي بما سمعه من الرئيس السادات وأسعده ذلك تماما. وأعجب الرئيس السادات بهذا الأستاذ الحاد العميق .. ولما لاحظ د. شامير هذه « البلبلة » التي خلقتها الصحف الإسرائيلية والتي لابد أنها أفزعت الناس في إسرائيل. جمع الصحفيين الإسرائيليين وأملى عليهم معظم الحديث الذي دار بينه وبين الرئيس السادات. وأحس الناس بالارتياح لروعة ماقاله د. شامير .. وقد رأى أن من واجبه الوطني والأخلاق أن يعجل بنشر هذا الحديث. وكان في نيته أن يحتفظ به لينشره عندما يعود.

ولكنه أراد أن يقيم نوعا من « التوازن » أو « التعادل » بين الإثارة التي أحدثها القارىء والكاتب الإسرائيلي. وبين المناقشة الهادئة العاقلة التي دارت بينه وبين الرئيس السادات ..

وبعد ذلك ظهر السفير الإسرائيلي ليز أعماق الناس. ليروه هو أوضح ويتذكروه عندما يعود إليهم في المرة القادمة مرشح حزب حيروت الذي يرأسه السيد بيجين.

❑❑❑

أما « تطبيع » العلاقات بين مصر وإسرائيل فهو أيضا هدف يومي. مادام أناس كثيرون يجيئون من هناك. وقليلون يذهبون إلى هناك ..

ومن النوادر التي تدل على الفارق بين نظرتنا ونظرتهم إلى كل شيء.هذه القصة. في أول يوم لتطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل جاءت سيارتان مليئتان بالسياح عن طريق العريش. ووقف السياح وتفرجوا على أرض مصر وعلى الأهرامات وعلى وادي الملوك وتعالت صيحاتهم في كل مرة يرون فيها النيل الطويل العريض العميق. وعادوا إلى إسرائيل. انتهت الرحلة ..

ونشرت الصحف الإسرائيلية : أن أحدا في مصر لايهمه التطبيع. وأكبر دليل على ذلك أن سيارتين قد امتلأتا بالسياح دخلتا مصر وخرجتا دون أن يظهر عنهما سطر واحد في الصحف المصرية ! ..

أرجو إعادة قراءة السطور السابقة : سيارتان فيهما مائة سائح دخلتا مدينة بها ١١ مليونا من المواطنين. اعتادت على رؤية ملايين السائحين صيفا وشتاء. لم يظهر لها أي أثر لافي الشوارع ولاعند الناس ولا في الصحف ! ..

إذن : فالمصريون غير جادين ولايهتمون بالتطبيع بين البلدين. وهم يقولون مالايفعلون .. وهذا أكبر دليل على ذلك ! ..

وقد رددت على هذه النكتة بما جاء في قصة « كليلة ودمنة » من أن عصفورة وقفت على ظهر فيل. ثم طارت واقتربت من أذنه لتعتذر له عن وقوفها هذه المدة الطويلة على ظهره. فقال لها الفيل : ولكني لم أشعر بك ! ..

وفي « رحلات جليفر » أن ملك الأقزام أركبوه سلما طويلا حتى وصل إلى أذني جليفر ليقول له : هل رأيت بلادا أعظم من بلادنا ؟ ! ..

ولما قال له جليفر كاذبا : أبدا ! ..

كان للهواء الذي خرج من بين شفتيه قوة العواصف التي أطاحت بالملك والشعب والجيش وكل البيوت ! ..

رسالة مع جون انفرسون فيها نقطتان هامتان ..

الرئيس اسحاق نافون يلقي كلمة في مجلس الشعب المصري – إذا هو طلب ذلك.

المطرب الشعبى محمد نوح : يريد وجوها وسيمة ومزيدا من السلام ..

عيزر فايتسمان : شخصية يحبها الناس فى مصر وفى اسرائيل أيضا ..

فسيارة واحدة ومائة سيارة فى عاصمة كالقاهرة . ليست إلا عصفورا على ظهر فيل ! ..

وعندما ذهبت السيدة نيتسا بن أليسار حرم السفير الإسرائيلى تبحث عن شقة التقت بالسيدة : م . ر .. وقالت لها السيدة المصرية : أنا مع السلام مائة فى المائة . وقد اشتركت فى الاستفتاء على ذلك . ولكن لا أعطيكم شقتى مهما دفعتم فيها من إيجار (ثلاثة آلاف جنيه أو حتى عشرة آلاف جنيه) لسبب بسيط جدا : أنكم غير جادين فى أن تكون للشعب الفلسطينى دولة كما أن لكم دولة ! ..

وقد تكرر ذلك كثيرا . والسبب هو الاعتراض على السفير شخصيا أو على السياسة الإسرائيلية .. لأن كل موظفى السفارة قد وجدوا الشقق التى تناسبهم فى أجمل أحياء مصر . ولم يعترض على ذلك أحد ! ..

ولا أعرف من الذى اختار كلمة « تطبيع » العلاقات – أى أن تكون طبيعية بين مصر وإسرائيل . أى كالتى بين مصر وأية دولة أخرى . ومعنى ذلك أن تكون سفارة إسرائيل وشعب إسرائيل فى مصر . يلقون نفس المعاملة التى يلقاها الجميع دون أن يكون لهم أى وضع متميز . فليس لأحد ذلك الوضع .

ثم إن الذى بيننا وبين إسرائيل مايزال فى المراحل الأولى من الفهم والتفاهم أو من العلاج . فعندنا مشاكل كثيرة بسبب السلام . كما أن لديهم أيضا . فالسلام لم يحل كل المشاكل . بل إنه ابتدع أحجاما وأنماطا وصورا من العلاقات وقطع العلاقات . فليس السلام مع مصر علاجا لكل المشاكل . بل إنه هو إحدى المشاكل . ونحن جميعا نعرف ذلك . ولكن السلام مثل « المضادات الحيوية » يقتل الخلايا المريضة وبعض الخلايا الحية . ولكنه يشفى فى النهاية .

ولايوجد بين الناس شىء « طبيعى » . بل لايوجد إنسان طبيعى . كما أنه لايوجد خط مستقيم . ولايوجد إنسان سليم أو صحيح . لأن « الصحة » هى مجموعة من المعادلات أو هى نوع من الانسجام بين الجسم والنفس والعقل والعلاقات الاجتماعية . فكل شىء نسبى إلى حد كبير . فإذا قلت مثلا : من الطبيعى أن يختلف الناس وأن يتشاجروا .. وأن تتصادم السيارات .. وأن يرتكب الناس الجرائم والسرقات والسطو فى مصر .. وفى أى بلد آخر . فهذا هو الطبيعى . وتطبيع العلاقات بين البلدين أن يكون شىء من ذلك . وأن ننظر إليه على أنه طبيعى ومنطقى . فإذا كان هذا هو « تطبيع » العلاقات . فلماذا الشكوى من الخلافات وسوء التقدير وسوء الظن .. لأن الشكوى طبيعية أيضا ! ..

ومن الطبيعى أن نجعل لكل شىء وزنه وحجمه . وأن نقترب منه لنراه أوضح ولنكون أقدر على الحل ..

وربما كان من الأفضل أن نقول « تعويد » العلاقات .. أى جعلها عادية بين البلدين ..

وربما كان من الأفضل أخيرا أن نقول « تطويع » العلاقات .. أى جعلها طيعة .. مرنة . وهذا مايحدث فى هذه السنة الأولى من فتح الحوار والحدود بين البلدين ..

ولكن الذى يجعل الجانب الإسرائيلى فى ضيق مما يراه . هو أنهم عادة فى ضيق لأنهم متوترون دائما . قلقون . لديهم إحساس غريزى بأن الوقت ذهب . وإذا ذهب الوقت فقد ذهب الذهب . ولذلك فهم لايريدون أن تفلت هذه الفرصة . فليسوا على يقين مما سوف يحدث بعد ذلك . فقد تضيع . وقد يحدث مايسد الحدود بين البلدين ويعيد السفيرين المصرى والإسرائيلى . ثم نعود إلى التراشق بالكلام تمهيدا للذى لانريده .. وبذلك تتأكد كل مخاوف بعض الساسة بأن السلام لم يكن جادا . وأن.. وأن .. إلى آخر المخاوف التى تحتاج إلى وقت طويل لكى نقطع أوراقها . ولا أقول نجتث جذورها . فذلك طموح جنونى لايقوى أحد على المجاهرة به ! ..

وفى حديث للرئيس السادات منذ أيام مع صحيفة « يديعوت أحرونوت » قال الرئيس لمندوب الصحيفة ايلان كفير : فى استطاعتى أن أجعل التطبيع بالأمر .. فأصدر قرارا بسفر عشرات من الناس . ولكن هناك فرقا كبيرا بين التطبيع الطبيعى وبين التطبيع الرسمى .. فقد تم التطبيع الرسمى . ولكن التطبيع الشعبى يحتاج إلى وقت .. وهذا أفضل ! ..

ومن قياس الرأى العام فى مصر فى الأيام الأخيرة اهتدى الباحثون الذين يجيئون من بلاد عديدة : إلى أن فى مصر ضيقا من موقف الحكومة الإسرائيلية . وهم يتفقون فى ذلك مع الشعور العام فى إسرائيل . وعند يهود الشتات أيضا . وعند المعارضة فى إسرائيل التى قالت على لسان إسحاق رابين : السيد رئيس الوزراء قد أعطى كل مايستطيع وليس لديه مايضيفه .. ولذلك فلابد أن يترك مكانه لمن هم أقدر على تحقيق السلام ..

وفى حوار بين د . شامير والمطرب الشعبى محمد نوح قال له الفنان المصرى : لقد كنت أغنى للسلام . ووقفت فى الشوارع أهتف للسلام ولبطل السلام .. أما الآن فليس لدى أدنى استعداد،والسبب أن حكومة إسرائيل تسد كل الطرق إلى ذلك ..

ثم التفت محمد نوح إلى د . شامير وهو رجل وسيم : لماذا لاتبعثون إلينا بأناس فى وسامتك وحنكتك . أو بأناس فى ظرف عيزر فايتسمان .. لماذا تبعثون إلينا برجل مثل . . . ولاداعى لأن أكمل عبارته ..

ثم سئل الرئيس السادات من مندوب الصحيفة الإسرائيلية : هل ترى أننا نحتاج إلى علماء نفس أكثر من حاجتنا إلى سياسيين ؟ وكان رد الرئيس السادات : لايزال العامل النفسى هاما جدا . ولعلك تذكر أننى أشرت إلى الحاجز النفسى بين الشعبين .. وأن حرب أكتوبر قد أوقفت النار وبدأت الحوار .. ثم مبادرة السلام كانت اختراقا للعائق النفسى .. إننا مانزال فى حاجة إلى « فك الاشتباك العصبى » بين الشعبين ..

فكما أن هناك تشابكا بالأيدى . فهناك تشابك بالأعصاب . والنتيجة مثل هذه الأزمات من حين إلى حين ..

كما أن المندوب قد سأل الرئيس السادات إن كان صحيحا مانشرته مجلة « أكتوبر » من أن فى نيته دعوة الرئيس إسحاق نافون لزيارة مصر . فأجاب الرئيس السادات بأنه سوف يفعل . وإذا أراد أن يلقى خطابا أمام مجلس الشعب فله ذلك،تماما كما ألقى الرئيس السادات خطابه أمام الكنيست ..

ثم سأل الرئيس السادات : إن كان فى نيته أن يعطى ماء النيل لرى صحراء النقب ؟ .

وكان رد الرئيس السادات : كان ذلك واحدا من أحلامى . ولكن كيف

تطويع العلاقات بين بلدين أو فك الاشتباك العصبي بيننا!

أواجه ٨٠٠ مليون مسلم إذا أنا فعلت ذلك ، بينما إسرائيل تحتل القدس والضفة وغزة ! ..

وعاد يسأله الصحفي الإسرائيلي : إن كان الحل هو في لقاء بينه وبين السيد بيجين ؟ ..

وكان رد الرئيس السادات : الآن ؟ لا .. لابد أن تهدأ أعصاب رئيس وزراء إسرائيل .. فقد زارني في أسوان . ولابد أن أرد هذه الزيارة ..

ومن المؤكد أن أحداثا كثيرة سوف تقع بين مصر وإسرائيل على كل المستويات . لولا أن هذه الأحداث لها عمر القطط – أي بسبع أرواح – كما نقول في الأمثلة الشعبية . مع فارق واحد . هو أن القطط الإسرائيلية فوق سطح من صفيح ساخن ، والقطط المصرية فوق سطح من صفيح بارد ..

ولأسبق الأحداث ، ولا أرجم بالغيب عندما أقول إن هذا المقال سوف يساء فهمه . وهذا طبيعي .. أو تطبيعي ..

د. شيمون شامير جمع مندوبي الصحف الإسرائيلية وأدلى إليهم بما قاله الرئيس السادات .

الوزير المفوض الإسرائيلي يوسف هداس كان أحق الناس بأن يكون أول سفير في مصر ..

أولا سوف يتحول الكلام عن السفير الإسرائيلي إلى محاولة للتفريق بين يهودي غرب ويهودي شرق .. كيف ؟ ..

قبل أن يسافر الوزير المفوض يوسف هداس ، وهو يهودي شرق ممتاز ، وكان يرشحه كثيرون ليكون أول سفير لإسرائيل في مصر لولا أنه من حزب العمل ، نشرت الصحف المصرية أن خلافا مستمرا بينه وبين السفير . وأن السفير يمنعه من القيام بأبسط الزيارات لأصدقائه من السفراء الأجانب لسبب بسيط جدا هو أن السفير نفسه لم يزرهم بعد . فكان التعليق على اختيار د. يوسف هداس الذي عاد إلى وزارة الخارجية ، أن المصريين يريدون أن يفرقوا بين الأغلبية الشرقية المحكومة في إسرائيل والأقلية الغربية الحاكمة ، وعلى ذلك فهذا المقال هو استمرار في إشعال الفتنة النائمة في إسرائيل أو في السفارة الإسرائيلية بالقاهرة ؟ ! ..

ثانيا دعوة الرئيس السادات للرئيس إسحاق نافون لإلقاء كلمة أمام مجلس الشعب – إذا طلب ذلك – مشكلة جديدة . فالرئيس السادات في حديث للتليفزيون الإسرائيلي ، قال إنه يرحب بأن يلقي السيد بيجين خطابا أمام مجلس الشعب لولا أنه يعلم مقدما أن هذا الخطاب سيفقده الشعبية في مصر – إن كانت له الآن . فالسيد بيجين سوف يتحدث عن الحق الإلهي في الضفة الغربية (يهودا والسامرة) وهذا مالا يقدر أحد على سماعه في مصر أو في أي مكان آخر ..

إذن فالرئيس السادات لا يمانع في أن يلقي الرئيس نافون خطابا ويمانع في أن يفعل السيد بيجين نفس الشيء ! ..

ثالثا إن السفير الإسرائيلي قد استأجر شقة في عمارة مجاورة لفندق شيراتون ولا يستطيع الإقامة فيها بسبب دق خوازيق البناء وراءها . أي ان السفير عنده شقة . وهذه الشقة يقيم فيها الدبلوماسيون أو الرسميون الذين يترددون على السفارة . ولكن السفير يريد شقة أخرى أكبر وأوسع على النيل .. ولذلك لا تكفي زوجته وعدد من السماسرة عن البحث . وهي فرصة لكي يقيسوا الرأي العام المصري أيضا . وكان الرئيس السادات قد وعده بأن يسهل مهمته إذا هو وجد – أي السفير – شقة في عمارات التأمين أو العمارات الحكومية . ولم يجد السفير ماينا سبه . ومادام الرئيس السادات لم « يخصص » له شقة حتى الآن ، فهو « أيضا » أو هو – أولا – لا يريده أن يستقر في شقة . وعلى ذلك فهذا أمر لكل المواطنين ألا يعطوا السفير شقة ؟ ! ..

رابعا في الوقت الذي أسرع فيه السفير الإسرائيلي خارجا من مصر ليظهر على التليفزيون في نفس اليوم ، يعرض التليفزيون المصري قصة خروج اليهود من مصر – وهي لا تعجب الصائمين في شهر رمضان . وعرض هذه المسلسلة التليفزيونية في شهر رمضان ، وخروج موسى وقومه من مصر ، وكذلك خروج السفير الإسرائيلي : مجموعة من الصدف – هذا مانقوله نحن . ولكن الذي سوف يقال هو أننا رتبنا ذلك كله .. وأننا نشير من بعيد إلى التاريخ القديم وخروج اليهود من مصر ، وأنه لا يستبعد أحد أن يعيد التاريخ نفسه .. وبذلك .. ورغم ذلك .. ولأن ولعل .. الخ ..

ولعلى بهذا الاجتهاد أكون قد وفرت عليهم الكثير من سوء الظن .. ولكن هذا وهم كبير ، فخزائن سوء الظن طافحة من ألوف السنين .. ورغم ذلك فإننا نراه طبيعيا .

ومادمنا قد أوقفنا النار وبدأنا الحوار ، فإن الحوار مهما كان ملتهبا فليس نارا . وهذا هو أعظم مكاسبنا .

ولذلك يجب أن نحرص عليه وأن نضاعفه ..

فليس في يوم وليلة نصلح مأفسدته عشرات السنين في الشرق الأوسط وألوف السنين في كل دول العالم ! ..

□